

«سوريا المفيدة»
والتغيير الديموغرافي في سوريا

حسين إبراهيم قطريب
أستاذ الجيومورفولوجيا المشارك

«سوريا المفيدة»
والتغيير الديموغرافي في سوريا

ملخص

أطلق بشار الأسد مصطلح (سوريا المفيدة) في بداية عام ٢٠١٦م، وعَنَى به المحافظات الستّ: دمشق، وريف دمشق، وحمص، وحماة، واللاذقية، وطرطوس، وأكّد أنه سيدافع عنها بكلّ ما يملك من قوة، وعدّ المحافظات السورية الأخرى أقلّ إستراتيجيةً لديه. وتهدف هذه الدراسة إلى رصد التغيير الديموغرافي (التغيير النوعي الإثني أو الديني أو المذهبي للسكان)، الذي ينفّذه النظام السوري وحلفاؤه في هذه المحافظات من خلال عمليات التهجير القسري، وإستراتيجيات الحصار والتجويع، وعقد الاتفاقات القهرية التي تقضي بترحيل السكان من أمكنتهم، وإحلال فئة بشرية أخرى محلّهم. وتعتمد الدراسة على المقارنة بين الإحصاءات الرسمية لعدد السكان في نهاية عام ٢٠١١م وتقديرات عدد السكان في نهاية عام ٢٠١٦م. وتقدّم الدراسة في نهايتها رصداً لأهم ملامح هذا التغيير الديموغرافي في محافظات (سوريا المفيدة) مدعومةً بالجداول والأشكال البيانية، إضافةً إلى أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها.

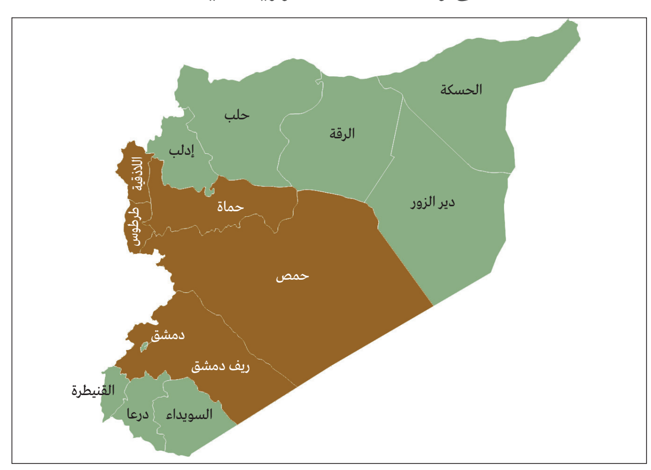
مقدمة

التغيير الديموغرافي هو التغيير النوعي الإثني أو الديني أو المذهبي للسكان في منطقة ما، ويتمّ تنفيذه خلال مدة قصيرة أو طويلة من الزمن تبعاً للأساليب والأدوات المستخدمة في تنفيذ خطته، التي منها ما يندرج ضمن أدوات القوة الناعمة كالأسلوب الدعوي التبشيري، والثقافي العلمي، وتقديم التسهيلات، ومنح الامتيازات والجنسيات، وأسلوب الترغيب المادي والترهيب المعنوي، وأساليب التضييق المختلفة، وهي أدوات وأساليب هادئة تُستخدم في تنفيذ الخطط الإستراتيجية على المدى الزمني البعيد. ومن أساليب التغيير الديموغرافي ما يندرج ضمن القوة العسكرية الصلبة وأدواتها في أثناء الحروب والنزاعات من خلال استخدام القوة العسكرية والأسلحة بشكل مفرط ووحشي ضد المدنيين؛ كعمليات التطهير العرقي، والتهجير القسري، وإستراتيجيات الحصار والتجويع، وعقد الاتفاقات القهرية التي تقضي بترحيل السكان من أمكنتهم، وإحلال فئة بشرية أخرى محلّهم، كما يحدث الآن في سوريا.

سوريا المفيدة

أطلق بشار الأسد مصطلح (سوريا المفيدة) في بداية عام ٢٠١٦م، وعَنَى به مناطق ومحافظات محدّدة من سوريا، تشمل محافظتي اللاذقية وطرطوس، وأجزاء من محافظات حمص وحماة ودمشق وريفها، وأكّد أنه هو ومؤيّديه سيدافعون عنها بكلّ ما يملكون من قوة، وعدّ المناطق والمحافظات السورية الأخرى التي دمّرها هو وحلفاؤه أقلّ إستراتيجيةً لديه، وأن المعارك فيها يمكن أن تكون كراً وفراً. ويبلغ مجموع مساحات المحافظات الستّ الداخلة ضمن ما سُمِّي بـ(سوريا المفيدة)، وهي: دمشق، وريف دمشق، وحمص، وحماة، واللاذقية، وطرطوس، نحو ٧٥ ألف كيلومتر مربع؛ أي: ما يعادل نحو ٤٠٪ من مساحة سوريا البالغة نحو ١٨٦ ألف كيلومتر مربع، لكن النظام السوري لا يسيطر حالياً سوى على نحو ٥٠٪ من مساحة المحافظات الستّ المذكورة؛ لأن هناك مساحات واسعة من محافظات ريف دمشق وحمص وحماة تقع خارج سيطرته.

مناطق ومحافظات «سوريا المفيدة»



هذه الخريطة من إعداد الباحث

الأهمية الجغرافية لـ«سوريا المفيدة»

تعدّ المحافظات والمناطق التي عناها بشار الأسد بمصطلحه (سوريا المفيدة) حيويةً لنظامه، وطائفته العلوية، ومصالح حلفائه الروس والإيرانيين وحزب الله اللبناني، وتنبع حيويتها وأهميتها من الأوضاع الجغرافية الآتية:

- تستأثر وحدها من الجغرافيا السورية بالإطلالة على البحر المتوسط.
- هي المنطقة الأكثر كثافةً سكانيةً في سوريا؛ إذ يقطن فيها نحو ٤٦٪ من مجموع سكان سوريا.
- تشتمل على العاصمة دمشق، وهي العاصمة التاريخية لسوريا منذ فجر التاريخ.
- يكاد ينحصر فيها انتشار العلويين في سوريا.
- يجاورها نطاق الانتشار العلوي والشيعي في لبنان، الذي يشكّل امتداداً طائفياً للعلويين في سوريا، ويوفّر إمكانية الوصول إلى البحر المتوسط من نافذة أخرى عبر الأراضي اللبنانية.
- تحظى محافظة حمص بأهمية إستراتيجية فائقة لدى النظام وحلفائه؛ لأنها تشكّل حلقة الوصل بين مناطقه الحيوية في الساحل والعاصمة دمشق وريفها من جهةٍ وبين نطاق انتشار الشيعة في لبنان من جهةٍ أخرى؛ لذلك بدأ النظام السوري الضغط العسكري المُفرط على منطقة القصير ومدينة حمص وما حولها منذ بداية عام ٢٠١٢م، وحاصر أحياءها في: بابا عمرو، والإنشاءات، والسلطانية، والخالدية، وكرم الزيتون، والرفاعي، والسبيل، والبياضة، ووادي العرب، واضطرّ السكان في هذه المناطق والأحياء إلى النزوح والهجرة القسرية، حتى أُفرغت هذه المناطق والأحياء تباعاً من سكّانها بالكامل، ويحاول النظام حالياً إفراغ ما تبقّى من سكان في حي الوعر.
- تحتوي على قاعدتين عسكريتين لروسيا، هما: القاعدة العسكرية البحرية في طرطوس، وقاعدة مطار حميميم العسكرية الجوية في اللاذقية.

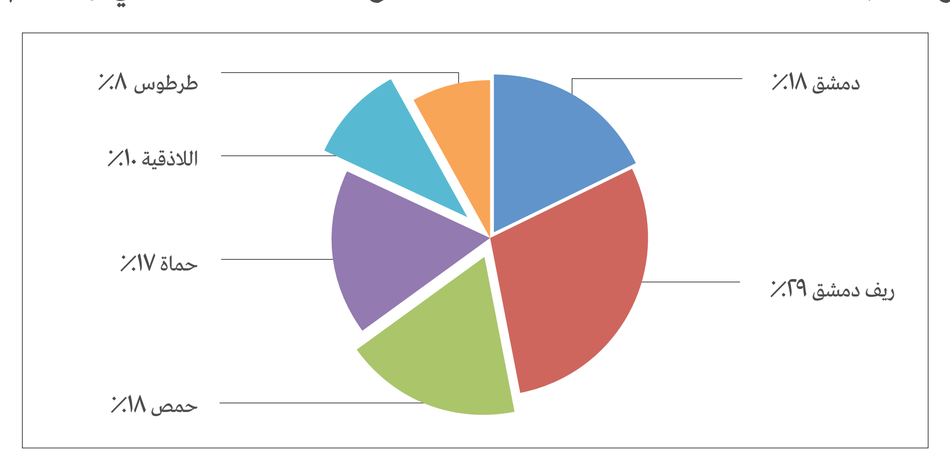
الجغرافيا السكانية لـ«سوريا المفيدة» حتى نهاية عام ٢٠١١م

وصل مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة) الستّ في نهاية عام ٢٠١١م إلى تسعة ملايين و٨٢٦ ألف نسمة؛ أي: ما يعادل نحو ٤٦٪ من مجموع سكان سوريا البالغ عددهم ٢١ مليوناً و٣٧٧ ألف نسمة في ذلك الوقت[١].

عدد السكان في محافظات «سوريا المفيدة» في نهاية عام ٢٠١١م[٢]

المحافظة	عدد السكان (ألف نسمة)	نسبة السكان إلى عدد سكان سوريا كلها	نسبة السكان إلى عدد سكان «سوريا المفيدة»	المساحة (كم٢)	الكثافة السكانية (نسمة/ كم٢)
دمشق	١٧٥٤	٨٪	١٨٪	١٥٩٩	١٠٩٧
ريف دمشق	٢٨٣٦	١٣٪	٢٩٪	١٨٠٣٢	١٥٧
حمص	١٨٠٣	٨٪	١٨٪	٤٢٢٢٣	٤٣
حماة	١٦٢٨	٨٪	١٧٪	٨٨٨٣	١٨٣
اللاذقية	١٠٠٨	٥٪	١٠٪	٢٢٩٧	٤٣٩
طرطوس	٧٩٧	٤٪	٨٪	١٨٩٢	٤٢١
المجموع	٩٨٢٦	٤٦٪	١٠٠٪	٧٤٩٢٦	١٣١

توزيع النسب السكانية لمحافظات «سوريا المفيدة» من مجموع سكان هذه المحافظات في نهاية عام ٢٠١١م



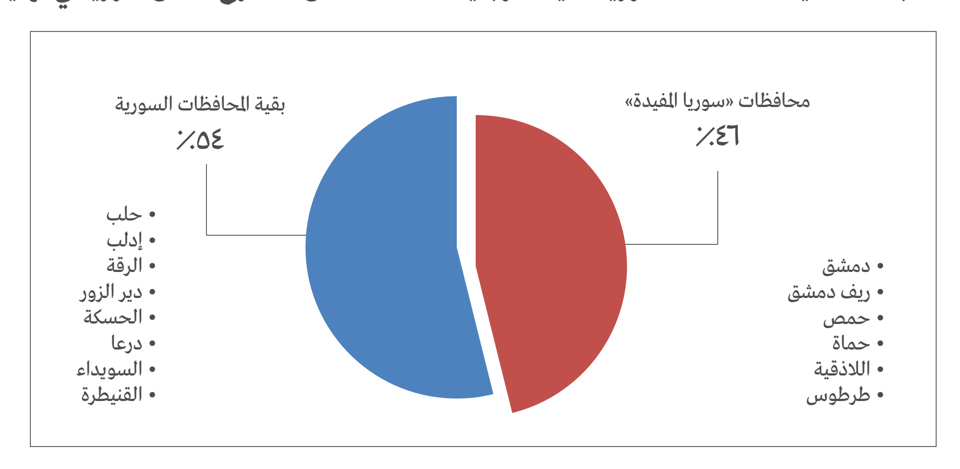
(١) "تقدير عدد السكّان الموجودين في سوريا حسب المحافظة والجنس (بالألف نسمة) في ٢٠١١/١٢/٣١م"، **السكان والمؤشرات الديموغرافية**، المجموعة الإحصائية (سوريا: المكتب المركزي للإحصاء في سوريا، ٢٠١١م)، http://www.cbssyr.sy/yearbook/2011/Data-Chapter2/TAB-32011-2-.htm.

(٢) جميع الإحصائيات الواردة في الجداول لا تشمل السوريين الذين يعيشون خارج سوريا، وهي مأخوذة عن المكتب المركزي للإحصاء في سوريا، وجميع الأشكال البيانية أعدّها الباحث اعتماداً على المعلومات الرقمية الواردة في الجداول الخاصة بها، وتمّ تقريب الأرقام الإحصائية في الدراسة كلّها؛ بسبب اعتمادنا على أرقام مقرّبة في الأساس.

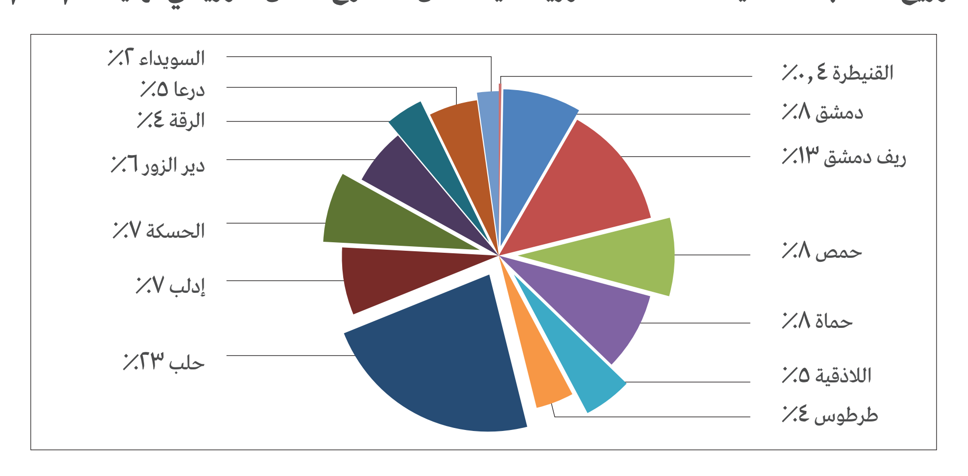
عدد السكان في بقية محافظات سوريا في نهاية عام ٢٠١١م

المحافظة	عدد السكان (ألف نسمة)	نسبة السكان إلى مجموع سكان سوريا كلها	نسبة سكان كلّ محافظة إلى مجموع سكان هذه المحافظات	المساحة (كم٢)	الكثافة السكانية (نسمة/ كم٢)
حلب	٤٨٦٨	٪٢٣	٪٤٢	١٨٥٠٠	٢٦٣
إدلب	١٥٠١	٪٧	٪١٣	٦٠٩٧	٢٤٦
الحسكة	١٥١٢	٪٧	٪١٣	٢٣٣٣٤	٦٥
دير الزور	١٢٣٩	٪٦	٪١١	٣٣٠٦٠	٣٧
الرقة	٩٤٤	٪٤	٪٨	١٩٦١٦	٤٨
درعا	١٠٢٧	٪٥	٪٩	٣٧٣٠	٢٧٥
السويداء	٣٧٠	٪٢	٪٣	٥٥٥٠	٦٧
القنيطرة	٩٠	٪٠,٤	٪٠,٨	١٨٦١	٤٨
المجموع	١١٥٥١	٪٥٤	٪١٠٠	١١١٧٤٨	١٠٣

مقارنة بين النسبة السكانية لمحافظات «سوريا المفيدة» وبقية المحافظات من مجموع سكان سوريا في نهاية عام ٢٠١١م



توزيع النسب السكانية لمحافظات «سوريا المفيدة» من مجموع سكان سوريا في نهاية عام ٢٠١١م

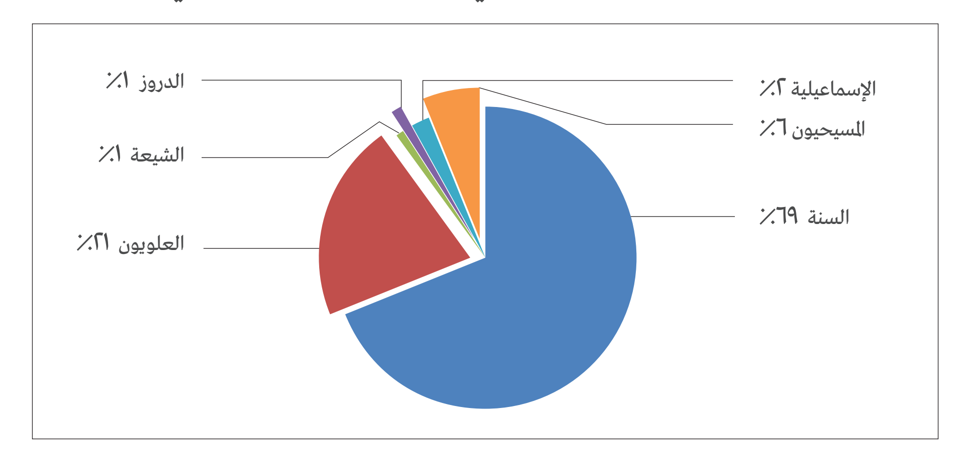


وتوزّعت أعداد السكان في المحافظات السورية الستّ (دمشق، وريف دمشق، وحمص، وحماة، واللاذقية، وطرطوس) على: السُّنَّة العرب والأكراد والتركمان والشركس (٦,٨٠٢ مليون نسمة، بنسبة ٦٩٪)، والعلويين (٢,٠٥٥ مليون نسمة، بنسبة ٢١٪)، والمسيحيين (٥٤٢ ألف نسمة، بنسبة ٦٪)، والإسماعيلية (٢٣٦ ألف نسمة، بنسبة ٢٪)، والدروز (٩٩ ألف نسمة، بنسبة ١٪)، والشيعة (٩٢ ألف نسمة، بنسبة ١٪) من مجموع عدد سكان هذه المحافظات.

توزيع سكّان محافظات «سوريا المفيدة» حسب الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م (بالألف نسمة)(٣)

المحافظة	السُّنَّة	العلويون	الدروز	الإسماعيلية	الشيعة	المسيحيون	المجموع
طرطوس	١٤٠	٥٥٠	٠	٥٨	٠	٤٩	٧٩٧
اللاذقية	٣٧٢	٥٨٠	٠	٢	٢	٥٢	١٠٠٨
حمص	١١٥٤	٤٥٥	٠	٣	٣٨	١٥٣	١٨٠٣
حماة	١٠٩٣	٢٧٤	٠	١٦٨	٢	٩١	١٦٢٨
دمشق	١٥٨٣	٨٢	٥	٢	٢٤	٥٨	١٧٥٤
ريف دمشق	٢٤٦٠	١١٤	٩٤	٣	٢٦	١٣٩	٢٨٣٦
المجموع	٦٨٠٢	٢٠٥٥	٩٩	٢٣٦	٩٢	٥٤٢	٩٨٢٦

توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظات «سوريا المفيدة» في نهاية عام ٢٠١١م



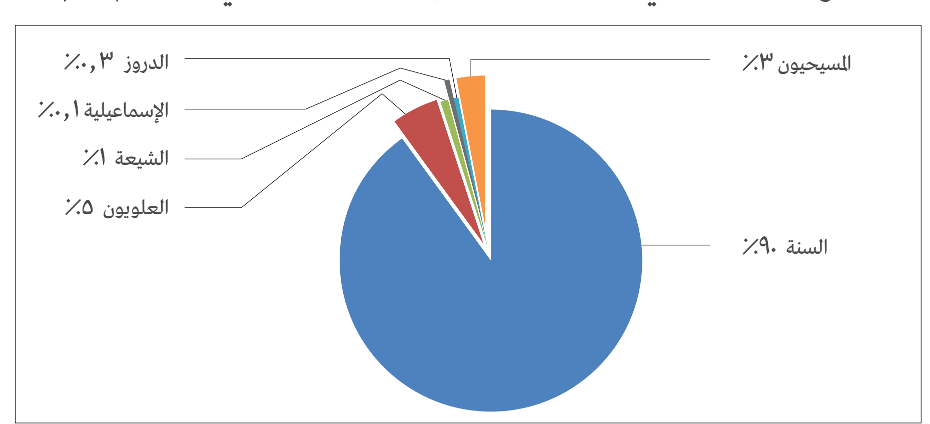
- محافظة دمشق:

بلغ عدد سكان محافظة دمشق في نهاية عام ٢٠١١م مليوناً و٧٥٤ ألف نسمة؛ أي: ما يعادل ٨٪ من مجموع سكان سوريا، و١٨٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويتكوّن التركيب السكاني لمدينة دمشق من العرب بنسبة ٩٥٪ من إجمالي سكّانها، ونحو ٤٪ من الأكراد، و١٪ من الإثنيات الأخرى من الأرمن، والآشوريين، والتركمان، والشركس، والأذريين، والبشناق، والألبان. كما تتكون أغلبية سكان دمشق من المسلمين، إضافةً

(٣) **الأقليات في سوريا**، مركز سوريا للبحوث والدراسات، دراسة غير منشورة.

إلى وجود نسبٍ صغيرةٍ من المسيحيين الروم الأرثوذكس الأنطاكيين، والروم الملكيين الكاثوليك، وأعداد ضئيلة من اليهود، ويتوزّع المسيحيون بشكل رئيس في حيي: باب توما، وباب شرقي. ويشكّل السُّنَّة نسبة ٩٠٪ من مجموع سكان محافظة دمشق حسب الإحصاءات الرسمية، إضافةً إلى ٥٪ من العلويين، و٣٪ من المسيحيين، و١٪ من الشيعة، و٠,٣٪ من الدروز، و٠,١٪ من الإسماعيلية، وجاء العلويون والإسماعيليون ومعظم الشيعة إلى دمشق في عهد حافظ الأسد وابنه بشار، ولا يُعدُّون من سكّانها الأصليين.

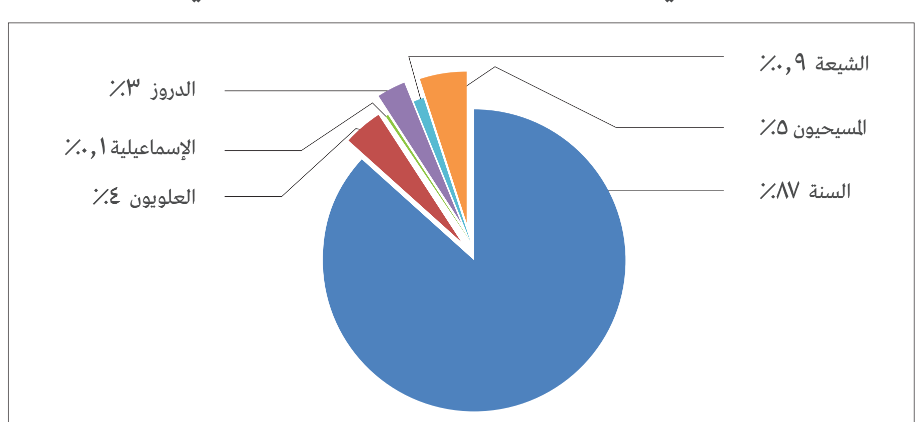
توزيع نسب السكان في محافظة دمشق على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



- محافظة ريف دمشق:

بلغ عدد سكان محافظة ريف دمشق في نهاية عام ٢٠١١م مليونين و٨٣٦ ألف نسمة؛ أي: ما يعادل ١٣٪ من مجموع سكان سوريا، و٢٩٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويشكّل السُّنَّة نسبة ٨٧٪ من مجموع سكان محافظة ريف دمشق، إضافةً إلى ٥٪ من المسيحيين، و٤٪ من العلويين، و٣٪ من الدروز و١٪ من الشيعة، و٠,١٪ من الإسماعيلية.

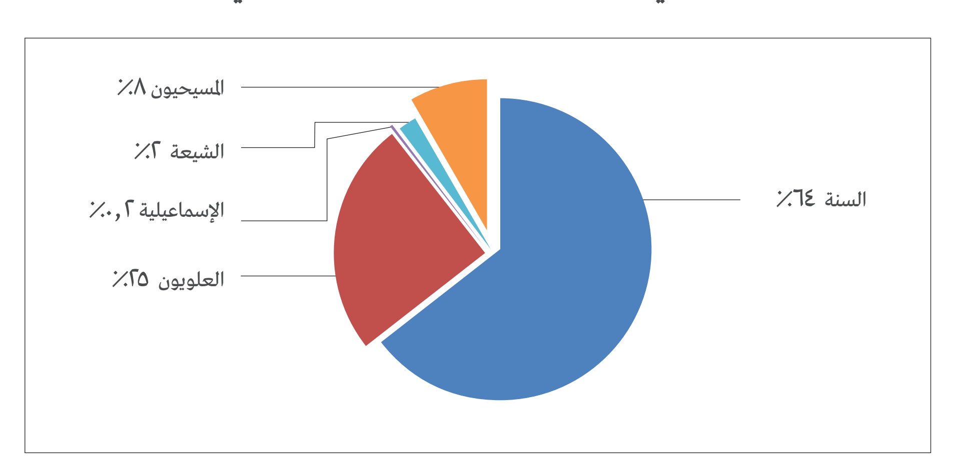
توزيع نسب السكان في محافظة ريف دمشق على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



- محافظة حمص:

بلغ عدد سكان محافظة حمص في نهاية عام ٢٠١١م مليوناً و٨٠٣ آلاف نسمة؛ أي: ما يعادل ٨٪ من مجموع سكان سوريا، و١٨٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويشكّل السُّنَّة ٦٤٪ من سكان المحافظة، إضافةً إلى ٢٥٪ من العلويين، و٨٪ من المسيحيين، و٢٪ من الشيعة، و٠,٢٪ من الإسماعيلية.

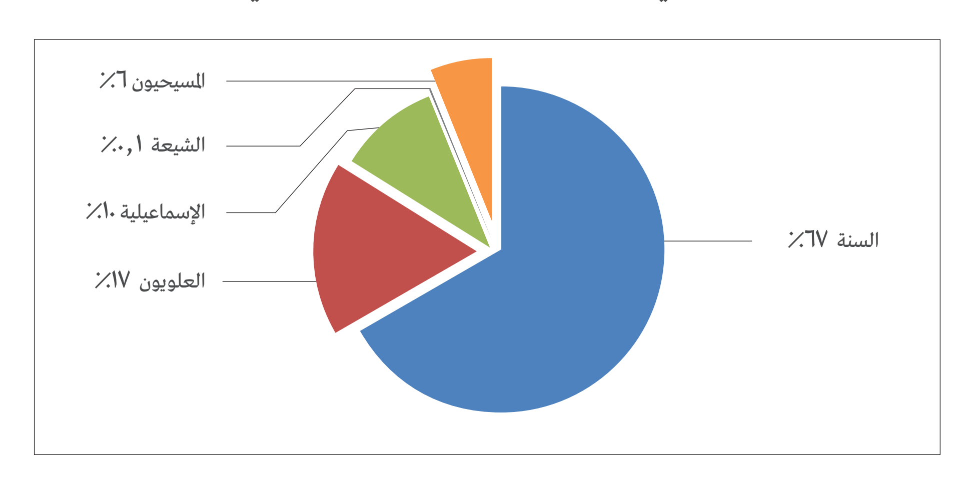
توزيع نسب السكان في محافظة حمص على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



- محافظة حماة:

بلغ عدد سكان محافظة حماة في نهاية عام ٢٠١١م مليوناً و٦٢٨ ألف نسمة؛ أي: ما يعادل ٨٪ من مجموع سكان سوريا، و١٧٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويشكّل السُّنَّة ٦٧٪ من مجموع سكان المحافظة، إضافةً إلى ١٧٪ من العلويين، و٦٪ من المسيحيين، و١٠٪ من الإسماعيلية، و١,٠٪ من الشيعة.

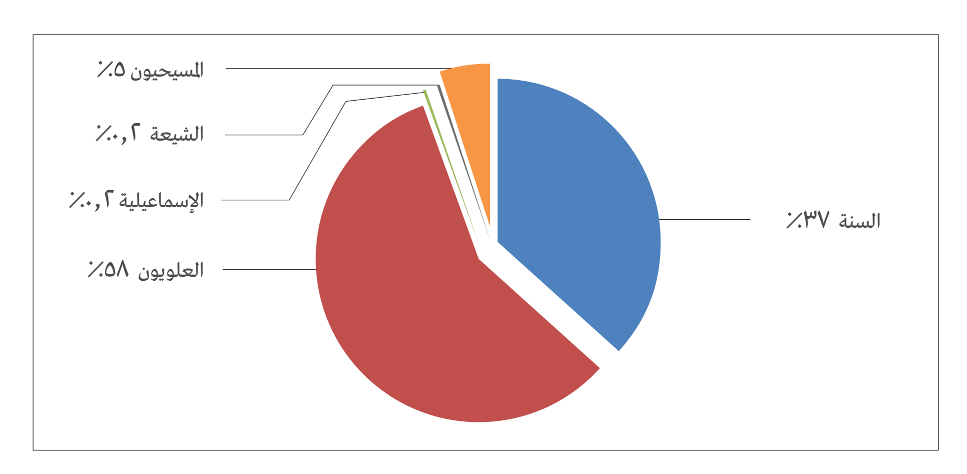
توزيع نسب السكان في محافظة حماة على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



- محافظة اللاذقية:

بلغ عدد سكان محافظة اللاذقية في نهاية عام ٢٠١١م مليوناً وثمانية آلاف نسمة؛ أي: ما يعادل ٥٪ من مجموع سكان سوريا، و١٠٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويشكّل العلويون ٥٨٪ من مجموع سكان المحافظة، إضافةً إلى ٣٧٪ من السُّنَّة، و٥٪ من المسيحيين، و٠,٢٪ من الإسماعيلية، و٠,٢٪ من الشيعة.

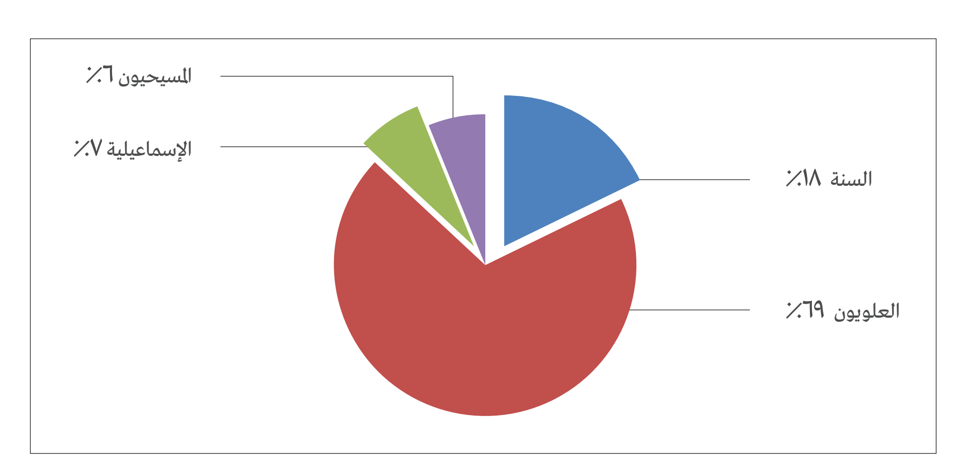
توزيع نسب السكان في محافظة اللاذقية على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



- محافظة طرطوس:

بلغ عدد سكان محافظة طرطوس في نهاية عام ٢٠١١م ٧٩٧ ألف نسمة؛ أي: ما يعادل ٤٪ من مجموع سكان سوريا، و٨٪ من مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة). ويشكّل العلويون ٦٩٪ من مجموع سكان المحافظة، إضافةً إلى ١٨٪ من السُّنَّة، و٧٪ من الإسماعيلية، و٦٪ من المسيحيين.

توزيع نسب السكان في محافظة طرطوس على الأديان والطوائف في نهاية عام ٢٠١١م



التغيير الديموغرافي في سوريا: مؤشرات وحقائق

- ازدياد عدد المقامات الشيعية في سوريا من ثلاثة مقامات إلى أضعاف هذا العدد، وانتشارها في معظم المحافظات.
- كانت (المدرسة المحسنية) في حيّ الأمين الدمشقي المدرسة الوحيدة للتعليم الديني الشيعي في سوريا، واليوم أصبح عدد الحوزات العلمية الدينية الشيعية والثانويات الشرعية أكثر من ستين حوزة وثانوية.
- أنشأت المرجعيات الشيعية كثيراً من الهيئات الشيعية الدينية لإدارة الطقوس الدينية في سوريا خلال المناسبات الشيعية.
- تعدّ المدة (١٩٧٠- ٢٠٠٧م) هي المرحلة الذهبية للتشيّع في سوريا؛ فقد بلغ عدد المتشيّعين في سوريا فيها نحو ٧٦ ألفاً، منهم ٥٣ ألفاً من العلويين، و١٦ ألفاً من السُّنَّة، وسبعة آلاف من الإسماعيلية. ويُقدَّر عدد السُّنَّة الذين تشيّعوا في المدة (١٩٧٠-١٩٩٩م)، التي تمثّل عهد حافظ الأسد، بـ٦٩٦٠ شخصاً؛ أي: بمعدل ٢٣٢ شخصاً في السنة الواحدة، بينما يُقدَّر عدد السُّنَّة الذين تشيّعوا في المدة (١٩٩٩- ٢٠٠٧م)، التي تمثّل عهد بشار الأسد، بـ٨٠٤٠ شخصاً؛ أي: بمعدل ١٠٠٥ أشخاص في السنة الواحدة[٤].

عدد المتشيّعين من سكان سوريا بالعمل الدعوي الشيعي في عهد نظام حافظ الأسد وابنه بشار حتى عام ٢٠٠٧م

الطائفة	عدد المتشيّعين من سكان سوريا حتى عام ٢٠٠٧م	النسبة المئوية من عدد المتشيّعين
الطائفة العلوية	٥٢,٧٠٠	٪٦٩
الطائفة السنية	١٥,٩٣٠	٪٢١
الطائفة الإسماعيلية	٧,٤٠٠	٪١٠
المجموع	٧٦,٠٣٠	٪١٠٠

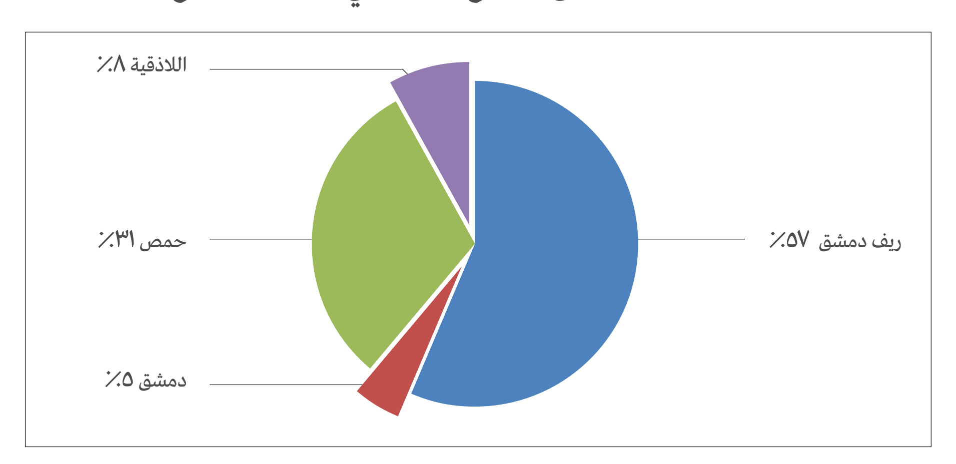
- سجّل التشيُّع انتشاراً نقطياً في كلّ المحافظات السورية، وبلغ عدد نقاطه أكثر من ١٣٤ نقطة، بينما كان انتشار الشيعة في سوريا محصوراً في نحو عشر نقاط فقط.
- بلغ عدد العراقيين المستقرّين في سوريا عام ٢٠٠٧م ١,٢ مليون نسمة، ٥٧٪ منهم شيعة، حسب تقارير مفوضية الأمم المتحدة للاجئين.
- عمّ الخراب والدمار معظم أنحاء سوريا، وحلّت فيها كارثة إنسانية وصلت إلى مستويات مُرعبة لم يسبق لها مثيل في أيّ بلدٍ في العالم، وتشير التقديرات إلى أن كلّ دقيقة تمرّ على السوريين تترك فيها عائلة سورية منزلها بسبب القصف العشوائي، أو التدمير، أو القتل، أو حالة الرعب، أو اغتصاب النساء، أو صعوبة الحياة نتيجة تخريب البنية التحتية للبلد.
- غادر أكثر من نصف سكان سوريا منازلهم، وأصبحوا بين نازحٍ في الداخل أو لاجئ في الخارج، وتمّ تسجيل نحو ٦,٥ مليون نازحٍ في الداخل، ينقسمون إلى: نحو ٤,٥ مليون نازح إلى مناطق تقع خارج سيطرة النظام، ومليوني نازح إلى مناطق سيطرته[٥].

(٤) **البعث الشيعي في سوريا: ١٩١٩- ٢٠٠٧م** (سوريا: المعهد الدولي للدراسات السورية، ٢٠٠٩م)، ص١٧٠.
(٥) إيرين موني، ''القصة من الداخل: النزوح داخل سوريا''، **نشرة الهجرة القسرية**، http://www.fmreview.org/ar/syria/mooney.html.

أعداد النازحين في بعض المحافظات السورية وفق آخر دراسة استقصائية للشبكة السورية لحقوق الإنسان[٦]

المحافظة	عدد النازحين (مليون نسمة)	عدد النازحين داخل المحافظة (مليون نسمة)	عدد سكان المحافظة (مليون نسمة)	نسبة النازحين إلى عدد سكان المحافظة	نسبة النازحين إلى مجموع النازحين في المحافظات الأربع
ريف دمشق	٢,٢	٠,٤٥	٢,٨٣٦	٪٧٨	٪٥٧
حمص	١,٢١	٠,٠٨	١,٨٠٣	٪٦٧	٪٣١
اللاذقية	٠,٣	٠,١١	١,٠٠٨	٪٣٠	٪٨
دمشق	٠,١٨	٠	١,٧٥٤	٪١٠	٪٥
المجموع	٣,٨٩	٠,٦٤	٧,٤٠١	-	-

نسبة عدد النازحين إلى مجموع النازحين في المحافظات الأربع



• أخذ النزوح بُعداً طائفياً سُنِّياً؛ لأن المناطق العلوية بقيت شبه آمنة، خصوصاً في طرطوس واللاذقية، ولأن أبناء السُّنَّة هم مَن فجّروا الثورة ضد النظام، وتحمّلوا عبئها الأكبر.

• كانت محافظة حمص أولى المحافظات السورية التي تعرّضت لأحداث مروّعة أصابت بنيتها التحتية والعمرانية بالخراب، فصار أغلبية سكانها بين شهيدٍ ونازحٍ ولاجئٍ (النازحون نحو ١,٢١ مليون نسمة، أو ما يعادل ٪٦٧ من مجموع سكانها).

• أصبحت أحياء مدينة حمص السُّنِّية خاليةً من السكان؛ بسبب القصف العشوائي، والتدمير الوحشي، والتهجير القسري[٧]، ومنع النظام سكّانها من العودة إليها بعد توقيع الهدنة، وخروج المقاتلين منها، عام ٢٠١٤م، وحلّت محلّهم عوائل شيعية وعلوية.

(٦) ناصر الغزالي، "تقرير: النازحون في سوريا واللاجئون السوريون في لبنان والأردن وتركيا والعراق ومصر"، (مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية واللجنة العربية لحقوق الإنسان بالتعاون مع حركة شباب ١٧ نيسان للتغيير الديمقراطي، ٢٠١٢م)،
http://www.achr.eu/raport%20syria.pdf.

(٧) علاء الدين رشوان، "مأساة النزوح الداخلي في سوريا"، (المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا: منظمة العفو الدولية)،
http://www.amnestymena.org/ar/Magazine/Issue21/TragedyofSyrianIDPs.aspx?articleID=1124.

- قام النظام بحرق السجل العقاري الخاصّ بسندات الملكية وسجلات المساحة للعقارات في حمص(٨).
- استولت إيران على مسجد أبناء جعفر الطيار في مدينة حمص بعد خروج الثوار منها عام ٢٠١٤م، وأعادت بناءه على نمط المراقد الشيعية(٩).
- احتلّ حزب الله اللبناني مدينة القصير وجميع القرى المحيطة بها، وأفرغها من سكّانها، وأحلّ محلّهم عوائل شيعية من لبنان ومن ميليشيا لواء الرضى الشيعي في حمص.
- قام النظام بتهجير سكان كثير من قرى محافظة حماة، مثل: العشارنة، وقبر فضة، والرملة، وأحلّ محلّهم السكان العلويين الذين فرّوا من قرية اشتبرق.
- قام حزب الله اللبناني الشيعي بإنذار أهل مدينة مضايا بضرورة إخلاء مساكنهم ومغادرتها.
- قصفت روسيا والنظام السوري جبلي التركمان والأكراد في محافظة اللاذقية، فنزح أكثر من ٩٥٪ من سكانهما، وهو ما اضطرّ رئيس الوزراء التركي السابق أحمد داود أغلو إلى اتّهام روسيا والنظام بممارسة التطهير العرقي في ريف اللاذقية.
- عمل النظام وحزب الله على احتلال منطقة القلمون، وتفريغها من سكانها؛ من أجل تحقيق التواصل الجغرافي الطائفي بين شيعة لبنان وعلوية سوريا(١٠).
- إصرار إيران على مبادلة سكان الزبداني ومضايا وسرغايا وبقين بسكان الفوعة وكفريا؛ حتى نجحت في إبريل عام ٢٠١٧م في إبرام اتفاق مع جيش الفتح يقضي بإخلاء جميع سكان الفوعة وكفريا على مرحلتين خلال ٦٠ يوماً في مقابل نقل مسلّحي الزبداني وعوائلهم في مضايا والمناطق المحيطة بها إلى الشمال السوري.
- فرض النظام السوري وحزب الله اللبناني حصاراً مُطبقاً على داريا (عدد سكانها يزيد على ٢٥٠ ألف نسمة) استمر أكثر من ثلاث سنوات، تعرّضت خلاله للقصف العشوائي بنحو ثمانية آلاف برميل متفجّر، وثماني هجمات بالأسلحة الكيماوية، وثلاث هجمات بالقنابل العنقودية. وفي ٢٥ أغسطس عام ٢٠١٦م، فرض النظام وحلفاؤه على سكّان داريا اتفاقاً يقضي بتهجير ما تبقّى منهم بعد عمليات نزوح مستمرة، واستشهاد أكثر من ٨٠٠ شخص من سكانها، واختفاء أكثر من أربعة آلاف بالاعتقالات(١١).
- يمنح النظام الجنسية السورية للشيعة المرتزقة الذين يقاتلون إلى جانبه بالتنسيق مع إيران ضمن مخطط إستراتيجي يهدف إلى التغيير الديموغرافي في بلاد الشام، ويعطي أولويةً لدمشق ومحيطها ومحافظة حمص؛ فقد قال بشار الأسد: «سوريا لمَن يدافع عنها، وليست لمَن يحمل جواز سفرها».

---

(٨) "التهجير القسري والتغيير الديموغرافي في سوريا تحت غطاء الأمم المتحدة"، **الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية**، (لندن: مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، ٢٠١٦م)،
http://cutt.us/9jExg.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) "التطهير العرقي: معبر نحو «سوريا المفيدة»"، **الجزيرة نت**،
http://cutt.us/Lbl4U.

(١١) "التهجير القسري والتغيير الديموغرافي في سوريا تحت غطاء الأمم المتحدة"، **الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية**، (لندن: مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، ٢٠١٦م)،
http://cutt.us/9jExg.

- تقوم إيران بشراء المساكن والمحلات التجارية من أصحابها بمبالغ تساوي أضعاف قيمتها، وإذا رفضوا يتمّ اللجوء إلى الأساليب الترهيبية، مثل حادثة حرق سوق العصرونية في دمشق بعد رفض أصحاب المحلات التجارية بيع محلاتهم[١٢].
- بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجّلين لدى المفوضية الأممية لشؤون اللاجئين نحو ٤,٢ مليون لاجئ في دول الجوار، وهو رقم أقلّ من العدد الحقيقي؛ لأن أعداداً كبيرة من اللاجئين لم يُتَح لها التسجيل لدى المفوضية، كما أن أعداداً أخرى لا يرغبون في التسجيل لدى المفوضية، ويعيشون خارج مخيمات اللجوء في دول الجوار وغيرها، ويُقدَّر العدد الحقيقي للاجئين السوريين بأكثر من ٥,٣ مليون لاجئ[١٣].

عدد اللاجئين السوريين المسجّلين لدى المفوضية الأممية لشؤون اللاجئين في دول الجوار حتى نهاية عام ٢٠١٥م[١٤]

البلد	تركيا	لبنان	الأردن	العراق	مصر	المجموع
عدد اللاجئين (مليون نسمة)	١,٧	١,٥	٠,٧	٠,٢٥	٠,١٢	٤,٢٧

تقديرات التغيير الديموغرافي في محافظات «سوريا المفيدة» في نهاية عام ٢٠١٦م حسب مؤشرات التغيير الديموغرافي السابقة بناءً على توزيع السكان في نهاية عام ٢٠١١م (بالألف نسمة)

المحافظة	الطائفة	عدد السكان في نهاية عام ٢٠١١م	النقص في عدد السكان بسبب القتل	النقص في عدد السكان بسبب النزوح واللجوء	النقص في عدد السكان بسبب التشيّع	عدد النازحين إليها	الزيادة في عدد السكان بسبب التشيّع	الزيادة في عدد السكان بسبب الجنسية	تقدير عدد السكان في نهاية عام ٢٠١٦م
دمشق	السُّنَّة	١٥٨٣	١٥	٨٠٠	١	١١٠٠	٠	٠	١٨٦٧
	العلويون	٨٢	٣	١	٣	٥	٠	٥	٨٥
	الشيعة	٢٤	٢	٠	٠	١٥	٤	٢٣٠	٢٧١
	الإسماعيلية	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢
	الدروز	٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥
	المسيحيون	٥٨	١	٥	٠	١٠	٠	٠	٦٢
	المجموع	١٧٥٤	٢١	٨٠٦	٤	١١٣٠	٤	٢٣٥	٢٢٩٢

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) ''التطهير العرقي: معبر نحو «سوريا المفيدة»''، **الجزيرة نت**، http://cutt.us/Lbl4U.

(١٤) أنطونيو غوتيريس المفوّض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وهيلين كلارك مديرة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ورئيسة مجموعة الأمم المتحدة الإنمائية، ''الخطة الإقليمية للاجئين وتعزيز القدرة على مواجهة الأزمات (٢٠١٥-٢٠١٦م) استجابة للأزمة السورية: استعراض إستراتيجي إقليمي''، http://www.3rpsyriacrisis.org/wp-content/uploads/20143/11/RP-Regional-Overview-Arabic.pdf.

المحافظة	الطائفة	عدد السكان في نهاية عام ٢٠١١م	النقص في عدد السكان بسبب القتل	النقص في عدد السكان بسبب النزوح واللجوء	النقص في عدد السكان بسبب التشيّع	عدد النازحين إليها	الزيادة في عدد السكان بسبب التشيّع	الزيادة في عدد السكان بسبب الجنسية	تقدير عدد السكان في نهاية عام ٢٠١٦م
ريف دمشق	السُّنَّة	٢٤٦٠	٧٥	١٧٠٠	٢	١٠٠	٠	٠	٧٨٣
	العلويون	١١٤	٤	١٠	٥	٠	٠	٢	٩٧
	الشيعة	٢٦	٣	٠	٠	٠	٧	٣٢٠	٣٥٠
	الإسماعيلية	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣
	الدروز	٩٤	٢	١٠	٠	٠	٠	٠	٨٢
	المسيحيون	١٣٩	٢	١٥	٠	٠	٠	٠	١٢٢
	المجموع	٢٨٣٦	٨٦	١٧٣٥	٧	١٠٠	٧	٣٢٢	١٤٣٧
حمص	السُّنَّة	١١٥٤	٨٠	٩٥٠	٣	١٠٠	٠	٠	٢٢١
	العلويون	٤٥٥	٥٠	١٠	١٠	٥	٠	٤	٣٩٤
	الشيعة	٣٨	٥	٢	٠	٥	١٣	٢٥٠	٢٩٩
	الإسماعيلية	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣
	الدروز	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
	المسيحيون	١٥٣	٥	١٥	٠	٢	٠	٠	١٣٥
	المجموع	١٨٠٣	١٤٠	٩٧٧	١٣	١١٢	١٣	٢٥٤	١٠٥٢
حماة	السُّنَّة	١٠٩٣	٣٥	٧٠٠	١	٤٠٠	٠	٠	٧٥٧
	العلويون	٢٧٤	١٠	٣٥	٦	١٠	٠	١	٢٣٤
	الشيعة	٢	٠	٠	٠		٩	٥	١٦
	الإسماعيلية	١٦٨	٢	١٠	٢	٠	٠	٠	١٥٤
	الدروز	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
	المسيحيون	٩١	١	١٠	٠	٢	٠	٠	٨٢
	المجموع	١٦٢٨	٤٨	٧٥٥	٩	٤١٢	٩	٦	١٢٤٣
اللاذقية	السُّنَّة	٣٧٢	١٠	١٥٠	١	١٠	٠	٠	٢٢١
	العلويون	٥٨٠	٢٥	٠	٢٥	٠	٠	٢	٥٣٢
	الشيعة	٢	٠	٠	٠	٢	٢٦	١٠	٤٠
	الإسماعيلية	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢
	الدروز	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
	المسيحيون	٥٢	٠	٢	٠	٥	٠	٠	٥٥
	المجموع	١٠٠٨	٣٥	١٥٢	٢٦	١٧	٢٦	١٢	٨٥٠
طرطوس	السُّنَّة	١٤٠	٨	٣٥	١	٥	٠	٠	١٠١
	العلويون	٥٥٠	٢٥	٠	٣٠	٣	٠	٣	٥٠١
	الشيعة	٠	٠	٠	٠	٣	٣٢	٥	٤٠
	الإسماعيلية	٥٨	١	٠	١	٤	٠	٠	٦٠
	الدروز	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
	المسيحيون	٤٩	٠	٢	٠	٢	٠	٠	٤٩
	المجموع	٧٩٧	٣٤	٣٧	٣٢	١٧	٣٢	٨	٧٥١
المجموع		٩٨٢٦	٣٦٤	٤٤٦٢	٩١	١٧٨٨	٩١	٨٣٧	٧٦٢٥

أهم ملامح التغيير الديموغرافي في محافظات «سوريا المفيدة»

أعدّ الباحث الجدول السابق لتقدير حجم التغيير الديموغرافي في سوريا خلال مدة حكم عائلة الأسد (حافظ الأسد وابنه بشار) استناداً إلى المعطيات والمؤشرات التي سبق ذكرها بشأن التغيير الديموغرافي في سوريا، واحتسب حجم التغيير على مستوى مجموع سكان محافظات (سوريا المفيدة)، وعلى مستوى سكان كلّ محافظة من المحافظات نفسها، من محصّلة النقص والزيادة في عدد السكان نتيجةً للقتل، والتهجير، والنزوح خارج المحافظة، واللجوء، والتشيّع، واستقبال النازحين داخل المحافظة، ومنح الجنسية السورية للشيعة والعلويين الوافدين إلى سوريا من العراق ولبنان وتركيا وغيرها، معتمداً في ذلك الحدّ الأدنى للتقديرات التي تتعلّق بأعداد القتلى والنازحين واللاجئين السوريين. وتمّ اعتماد عدد السكان في نهاية عام ٢٠١١م أساساً لملاحظة حجم التغيير الديموغرافي، مع أن التغيير الديموغرافي بدأ في سوريا منذ ثمانينيات القرن الماضي، لكنه كان محدوداً يتمّ بأعدادٍ قليلةٍ من المتشيّعين من السُّنَّة والعلويين والإسماعيلية من جهةٍ، وكان النظام يخفي منح الجنسية للشيعة والعلويين الوافدين من جهةٍ أخرى؛ لذلك فإن تحليل حجم التغيير الديموغرافي قبل عام ٢٠١١م لم يكن مهماً من الناحية العددية، وكانت خطورته تنحصر فقط في سعة انتشاره الجغرافي في كلّ المحافظات السورية. ويختصر الجدول الآتي حجم التغيير الديموغرافي في سوريا من خلال المقارنة بين عدد سكّان محافظات (سوريا المفيدة) في نهاية عام ٢٠١١م وتقدير عدد سكانها في نهاية عام ٢٠١٦م، مع ملاحظة أن الباحث لم يأخذ في الحسبان -عند تقديره عدد سكان محافظات (سوريا المفيدة) عام ٢٠١٦م- الزيادة الطبيعية للسكان، وإنما تعامل مع عدد السكان عام ٢٠١١م بوصفه متغيّراً ثابتاً؛ بهدف توضيح حجم التغيير الديموغرافي في سوريا من خلال التغيّر في النسب السكانية للأديان والطوائف.

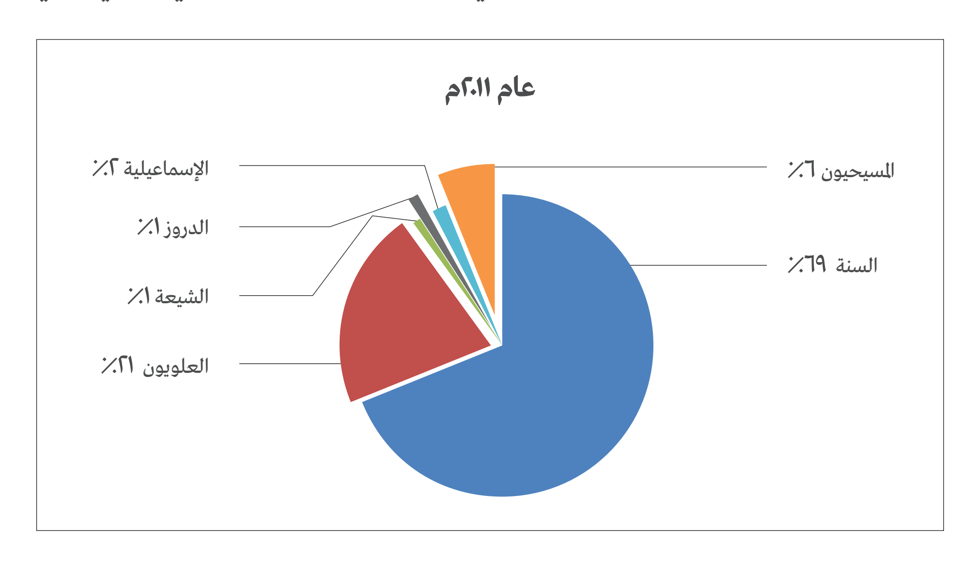
مقارنة بين عدد سكّان محافظات «سوريا المفيدة» في نهاية عام ٢٠١١م وتقدير عدد سكانها في نهاية عام ٢٠١٦م من خلال توزيعهم على الأديان والطوائف (بالألف نسمة)

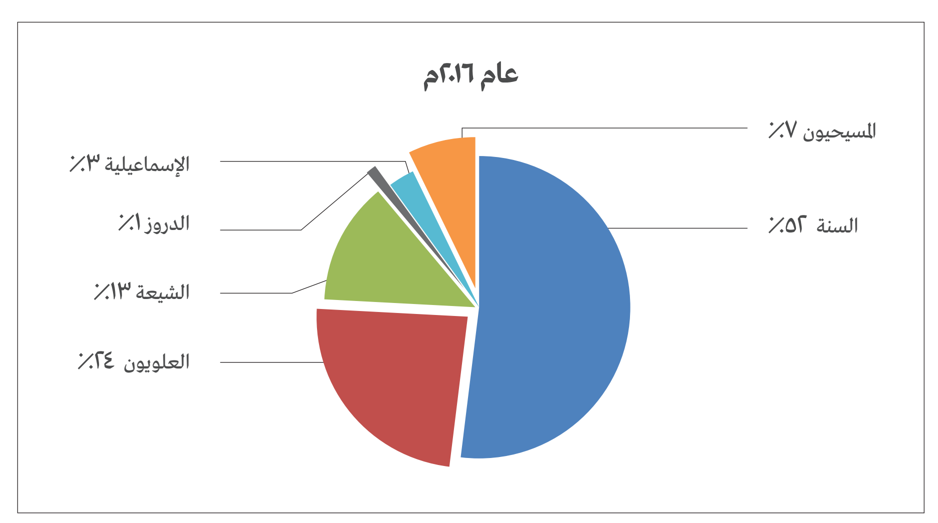
العام	المحافظة / الطائفة	دمشق	ريف دمشق	حمص	حماة	اللاذقية	طرطوس	المجموع
عدد السكان في نهاية عام ٢٠١١م	السُّنَّة	١٥٨٣	٢٤٦٠	١١٥٤	١٠٩٣	٣٧٢	١٤٠	٦٨٠٢
	العلويون	٨٢	١١٤	٤٥٥	٢٧٤	٥٨٠	٥٥٠	٢٠٥٥
	الشيعة	٢٤	٢٦	٣٨	٢	٢	٠	٩٢
	الإسماعيلية	٢	٣	٣	١٦٨	٢	٥٨	٢٣٦
	الدروز	٥	٩٤	٠	٠	٠	٠	٩٩
	المسيحيون	٥٨	١٣٩	١٥٣	٩١	٥٢	٤٩	٥٤٢
المجموع		١٧٥٤	٢٨٣٦	١٨٠٣	١٦٢٨	١٠٠٨	٧٩٧	٩٨٢٦
تقدير عدد السكان في نهاية عام ٢٠١٦م	السُّنَّة	١٨٦٧	٧٨٣	٢٢١	٧٥٧	٢٢١	١٠١	٣٩٥٠
	العلويون	٨٥	٩٧	٣٩٤	٢٣٤	٥٣٢	٥٠١	١٨٤٣
	الشيعة	٢٧١	٣٥٠	٢٩٩	١٦	٤٠	٤٠	١٠١٦
	الإسماعيلية	٢	٣	٣	١٥٤	٢	٦٠	٢٢٤
	الدروز	٥	٨٢	٠	٠	٠	٠	٨٧
	المسيحيون	٦٢	١٢٢	١٣٥	٨٢	٥٥	٤٩	٥٠٥
المجموع		٢٢٩٢	١٤٣٧	١٠٥٢	١٢٤٣	٨٥٠	٧٥١	٧٦٢٥

وتتمثّل أهم ملامح التغيير الديموغرافي في محافظات (سوريا المفيدة) في:

- انخفاض عدد سكّان محافظات (سوريا المفيدة) بنسبة ٢٢٪ من تسعة ملايين و٨٢٦ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى سبعة ملايين و٦٢٥ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفاض عدد السكان السُّنَّة بنسبة ١٧٪ من ستة ملايين و٨٠٢ ألف نسمة إلى ثلاثة ملايين و٩٥٠ ألف نسمة (أي: بمقدار النصف تقريباً)، وارتفاع عدد السكان الشيعة بنسبة ١٢٪ من ٩٢ ألف نسمة إلى مليون و١٦ ألف نسمة (أي: أكثر من عشرة أضعاف). وأدّى الانخفاض الكبير في عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في محافظات (سوريا المفيدة)، وأثّر ذلك في نسب جميع الطوائف والأديان؛ لذلك ارتفعت نسبة العلويين من ٢١٪ إلى ٢٤٪، ونسبة المسيحيين من ٦٪ إلى ٧٪، ونسبة الإسماعيلية من ٢٪ إلى ٣٪، بينما بقيت نسبة الدروز كما هي (١٪)، حتى وإن قلّت أعداد هذه الأديان والطوائف أو بقيت عند مستوياتها.

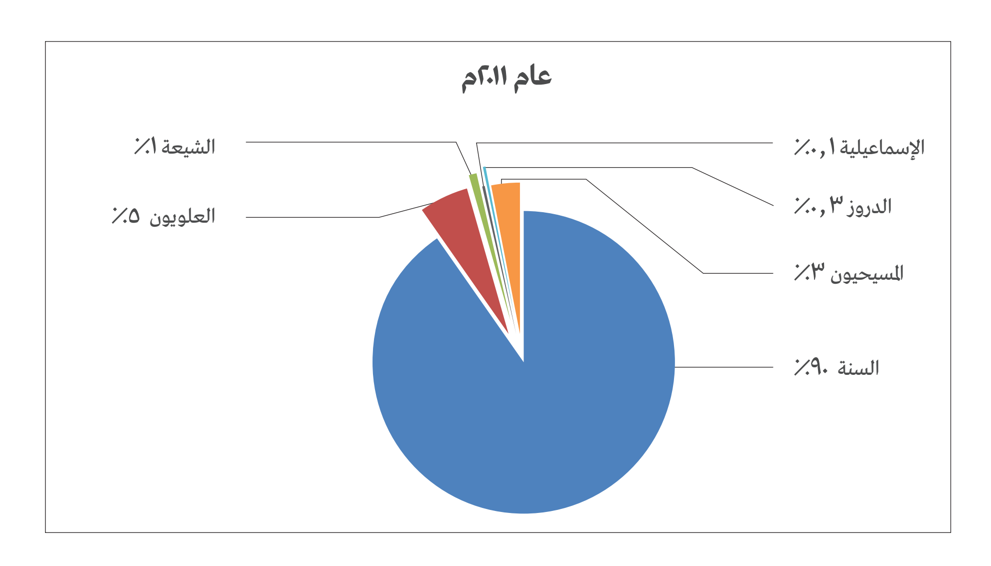


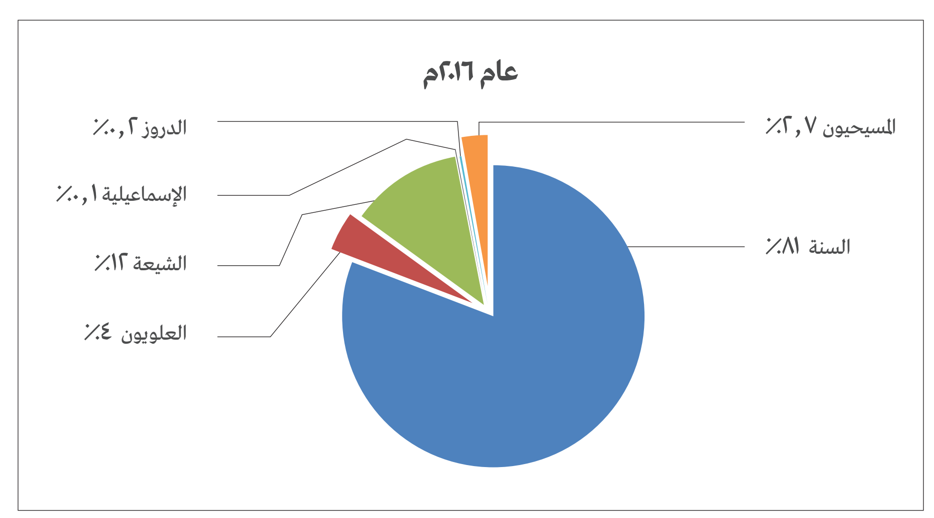




- ارتفاع عدد سكان العاصمة دمشق بنسبة ٢٣٪ من مليون و٧٥٤ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليونين و٢٩٢ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م؛ بسبب زيادة عدد الشيعة فيها من ٢٤ ألف نسمة إلى ٢٧١ ألف نسمة، وزيادة عدد السُّنَّة من مليون و٥٨٣ ألف نسمة إلى مليون و٨٦٧ ألف نسمة نتيجة النزوح السُّنِّي الداخلي إليها. وأدّى هذا الارتفاع الكبير في عدد السكان الشيعة في العاصمة دمشق، مع حركة النزوح السُّنِّي الداخلي إليها، إلى زيادة المجموع الكلّي لعدد السكان في المحافظة؛ فارتفعت نسبة السكان الشيعة بمقدار ١١٪، بينما انخفضت نسبة السكان السُّنَّة فيها بمقدار ٩٪، وكذلك انخفضت نسب المسيحيين من ٣٪ إلى ٢,٧٪، والعلويين من ٥٪ إلى ٤٪، والدروز من ٠,٣٪ إلى ٠,٢٪، وبقيت نسبة الإسماعيلية كما هي تقريباً (٠,١٪)، حتى وإن زادت أعداد هذه الأديان والطوائف أو بقيت عند مستوياتها.

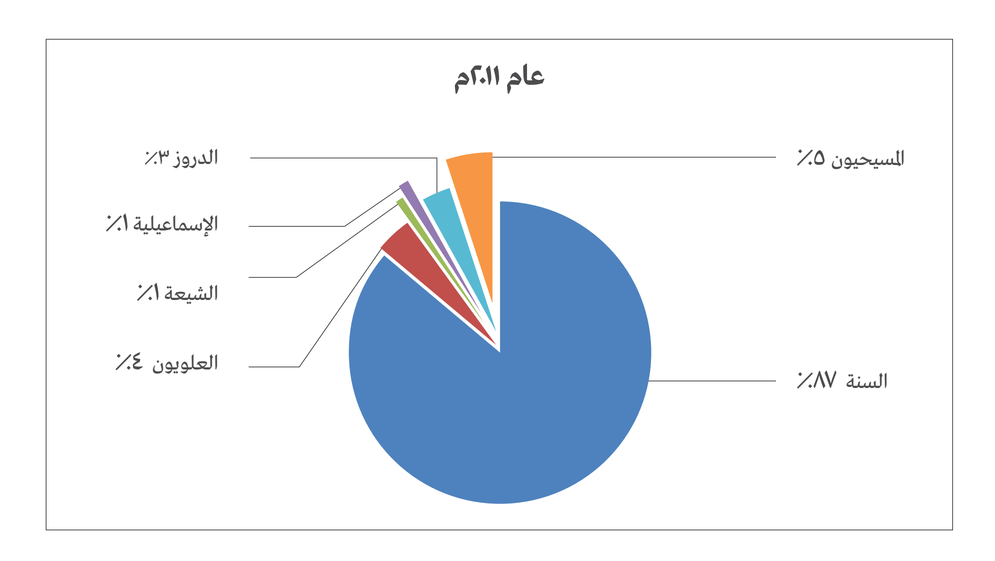
مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة دمشق في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م

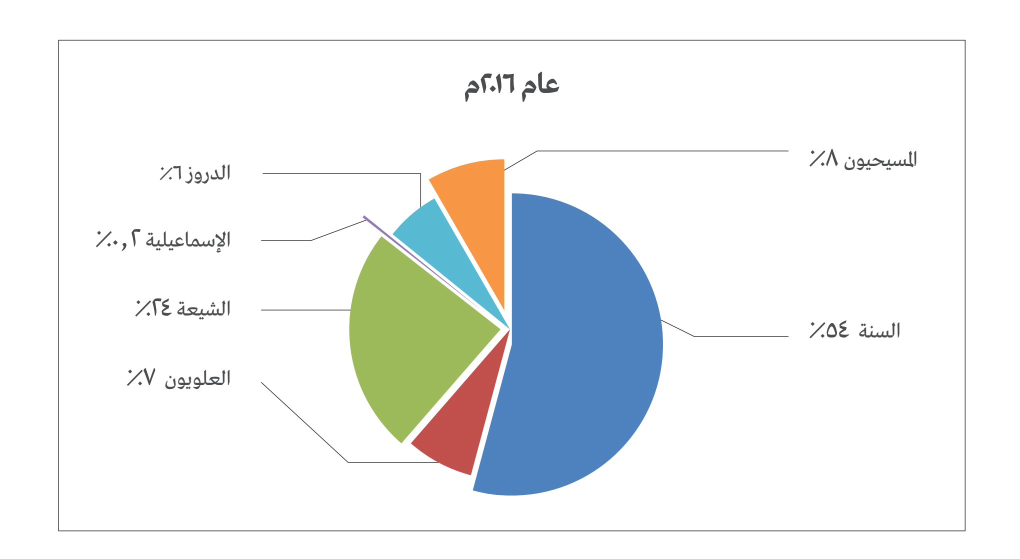




- انخفاض عدد سكان محافظة ريف دمشق بنسبة كبيرة (٤٩٪) من مليونين و٨٣٦ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليون و٤٣٧ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفاض عدد السكان السُّنَّة بنسبة ٣٣٪ من مليونين و٤٦٠ ألف نسمة إلى ٧٨٣ ألف نسمة (أي: بمقدارٍ أكثر من الثلثين)، وارتفاع عدد السكان الشيعة بنسبة ٢٣٪ من ٢٦ ألف نسمة إلى ٣٥٠ ألف نسمة (أي أن عدد الشيعة تضاعف أكثر من ١٣ مرة). وأدّى الانخفاض الكبير في عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في محافظة ريف دمشق، وأثّر ذلك في نسب جميع الطوائف والأديان؛ لذلك ارتفعت نسبة المسيحيين من ٥٪ إلى ٨٪، ونسبة العلويين من ٤٪ إلى ٧٪، ونسبة الدروز من ٣٪ إلى ٦٪، ونسبة الإسماعيلية من ١,٠٪ إلى ٢,٠٪، حتى وإن قلّت أعداد هذه الأديان والطوائف أو بقيت عند مستوياتها.

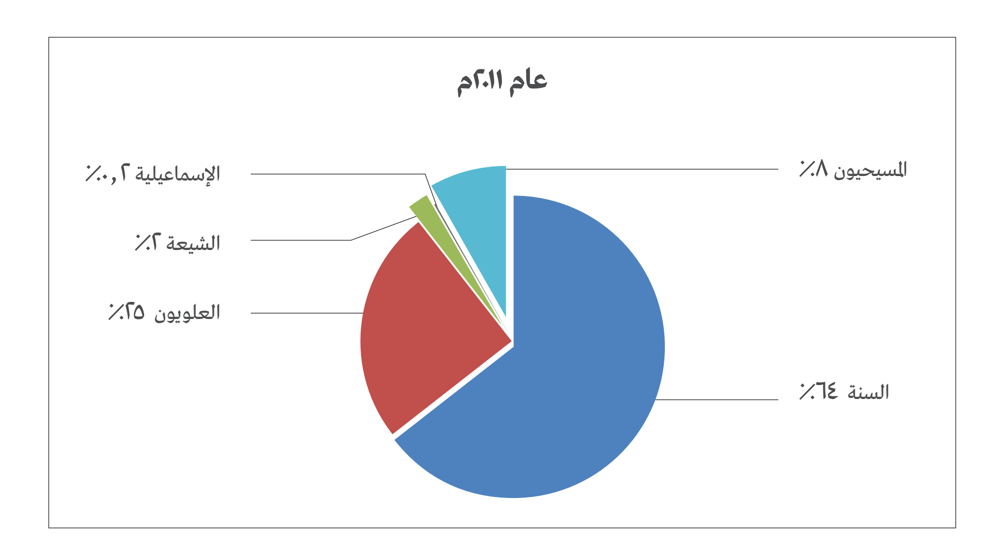
مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة ريف دمشق في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م

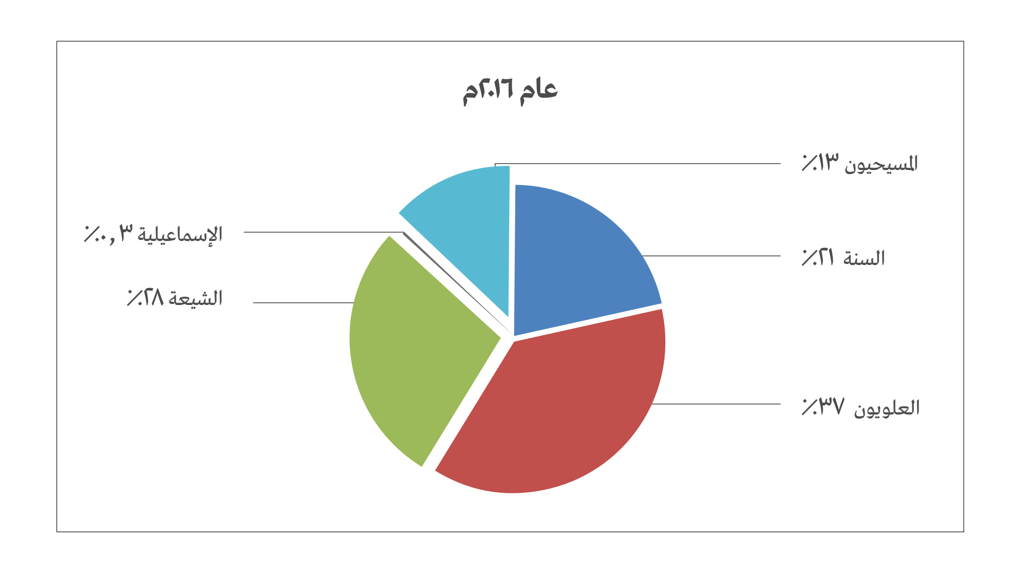




- انخفاض عدد سكان محافظة حمص بنسبة كبيرة (٤٢٪) من مليون و٨٠٣ آلاف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليون و٥٢ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفاض عدد السكان السُّنَّة بنسبة كبيرة (٤٣٪) من مليون و١٥٤ ألف نسمة إلى ٢٢١ ألف نسمة (أي أن مَن تبقَّى من السنة هم أقلّ من الرُّبع)، وارتفاع عدد السكان الشيعة بنسبة كبيرة (٢٦٪) من ٣٨ ألف نسمة إلى ٢٩٩ ألف نسمة (أي أن عدد الشيعة تضاعف أكثر من سبع مرات). وأدّى الانخفاض الكبير في عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في محافظة حمص، وأثّر ذلك في نسب جميع الطوائف والأديان؛ لذلك ارتفعت نسبة العلويين من ٢٥٪ إلى ٣٧٪، ونسبة المسيحيين من ٨٪ إلى ١٣٪، ونسبة الإسماعيلية من ٠,٢٪ إلى ٠,٣٪، حتى وإن قلّت أعداد هذه الأديان والطوائف أو بقيت عند مستوياتها.

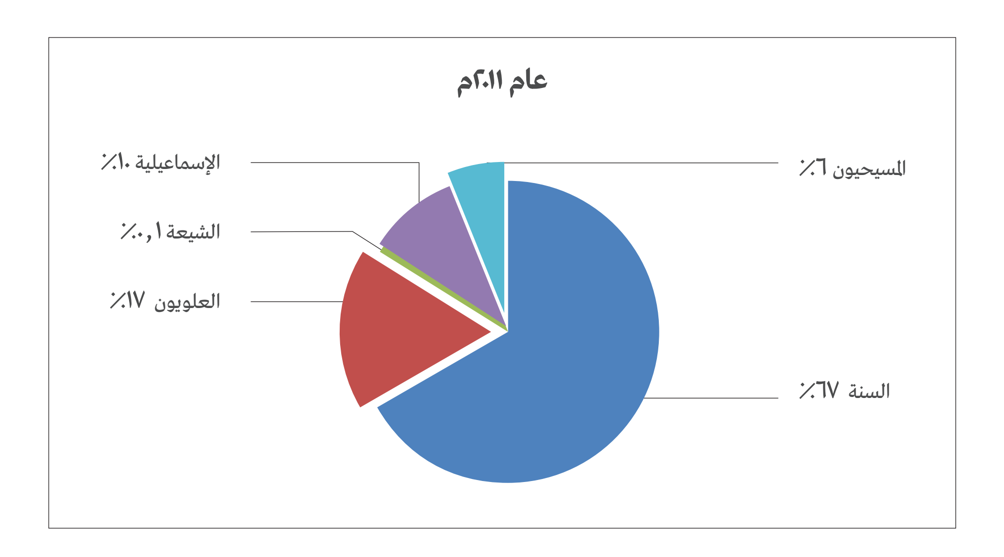
مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة حمص في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م

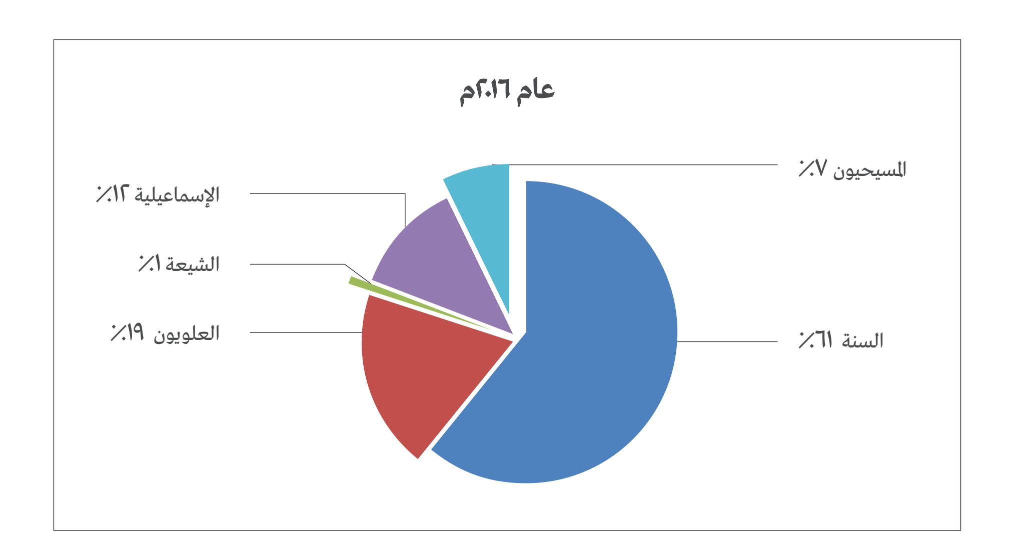




- انخفاض عدد سكان محافظة حماة بنسبة ٢٤٪ من مليون و٦٢٨ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليون و٢٤٣ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفاض عدد السكان السُّنَّة بنسبة ٦٪ من مليون و٩٣ ألف نسمة إلى ٧٥٧ ألف نسمة، وارتفاع عدد السكان الشيعة بنسبة ١٪ من ألفي نسمة إلى ١٦ ألف نسمة. وأدّى الانخفاض في عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في محافظة حماة، وأثّر ذلك في نسب جميع الطوائف والأديان؛ لذلك ارتفعت نسبة العلويين من ١٧٪ إلى ١٩٪، ونسبة المسيحيين من ٦٪ إلى ٧٪، ونسبة الإسماعيلية من ١٠٪ إلى ١٢٪، حتى وإن قلّت أعداد هذه الأديان والطوائف أو بقيت عند مستوياتها.

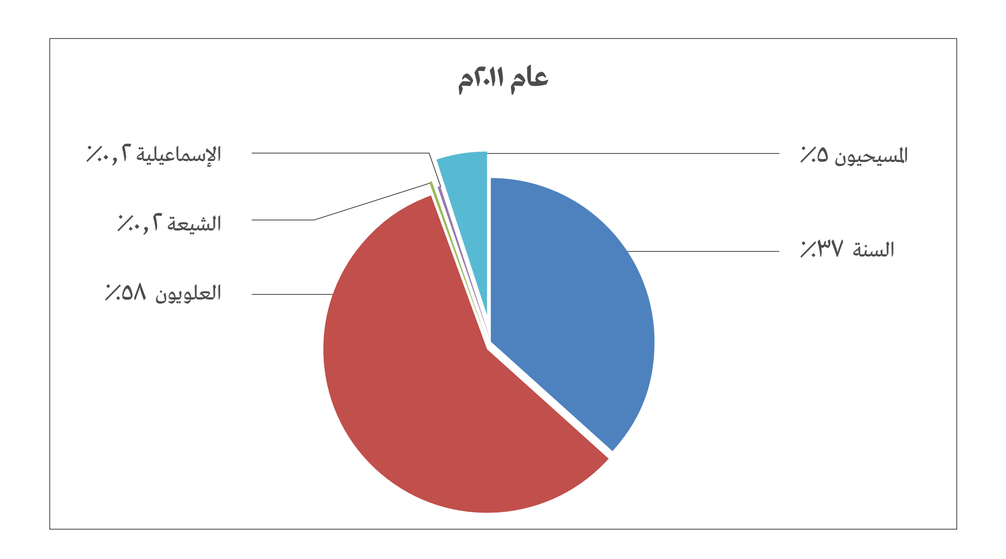
مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة حماة في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م

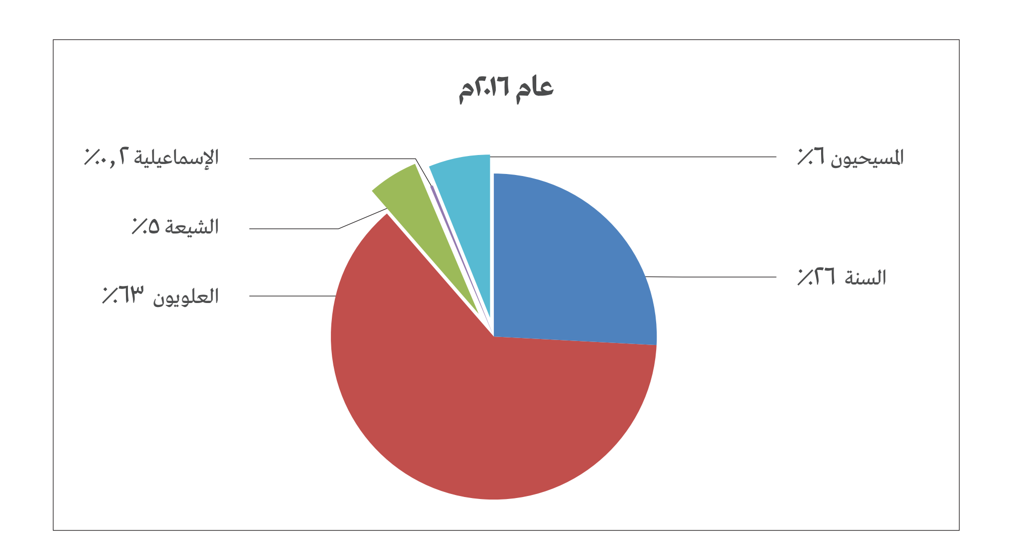




- انخفاض عدد سكان محافظة اللاذقية بنسبة ١٦٪ من مليون وثمانية آلاف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى ٨٥٠ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفاض عدد السكان السُّنَّة بنسبة ١١٪ من ٣٧٢ ألف نسمة إلى ٢٢١ ألف نسمة، وارتفاع عدد السكان الشيعة بنسبة ٥٪ من ألفي نسمة إلى ٤٠ ألف نسمة. وأدّى الانخفاض الكبير في عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في محافظة اللاذقية، وأثّر ذلك في نسب جميع الطوائف والأديان؛ لذلك ارتفعت نسبة العلويين من ٥٨٪ إلى ٦٣٪، ونسبة المسيحيين من ٥٪ إلى ٦٪، وبقيت نسبة الإسماعيلية كما هي تقريباً (٠,٢٪)، حتى وإن قلّت أعداد هذه الأديان والطوائف أو زادت أو بقيت عند مستوياتها.

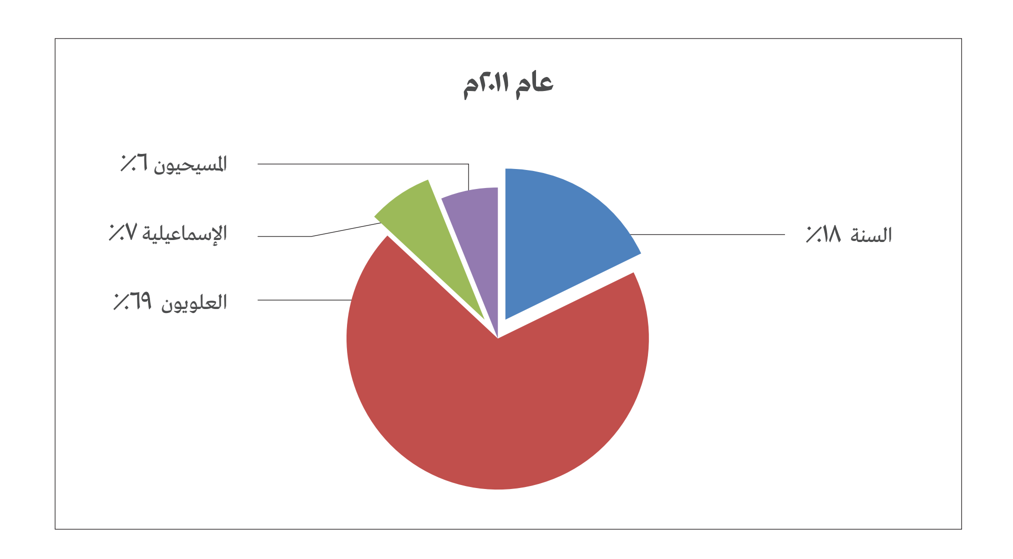
مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة اللاذقية في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م

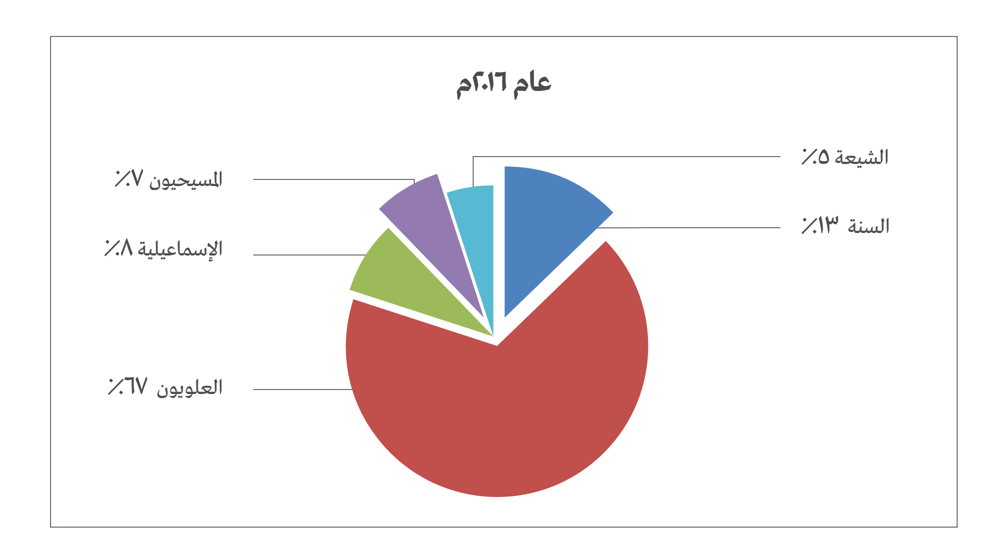




- لم يجرِ تغيير كبير على التركيبة السكانية في محافظة طرطوس؛ فقد انخفض عدد سكانها بنسبة صغيرة (٦٪) من ٧٩٧ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى ٧٥١ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وانخفض عدد السكان السُّنَّة فيها بنسبة ٥٪ من ١٤٠ ألف نسمة إلى ١٠١ ألف نسمة، وانخفضت نسبة العلويين في المحافظة من ٦٩٪ إلى ٦٧٪، كما أصبح بالمحافظة وجود شيعي وصل إلى ٤٠ ألف نسمة بنسبة ٥٪ من إجمالي عدد سكان المحافظة. وأدّى انخفاض عدد السكان السُّنَّة إلى قلّة المجموع الكلّي لعدد السكان في المحافظة، وأثّر ذلك في نسب بقية الأديان والطوائف، فارتفعت نسبة الإسماعيلية من ٧٪ إلى ٨٪، ونسبة المسيحيين من ٦٪ إلى ٧٪، حتى وإن قلّت أعدادهما أو زادت أو بقيت كما هي.

مقارنة بين توزيع النسب السكانية على الأديان والطوائف في محافظة طرطوس في نهايتي عامي ٢٠١١ و٢٠١٦م





النتائج والتوصيات

حقّق النظام السوري وحلفاؤه خطوات متقدّمة في تنفيذ خطّتهم الإستراتيجية للتغيير الديموغرافي في سوريا، لكنهم اتّجهوا مؤخراً نحو ما سمّاه رأس النظام بشار الأسد بـ(سوريا المفيدة)، بوصفها هدفاً مرحلياً تكتيكياً، وبدؤوا بالتركيز في تفريغ مدينة حمص وما حولها، ودمشق وما حولها، وريف دمشق، وترجموا ذلك بإستراتيجية الحصار وعقد الهُدَن المنفردة على مستوى الأحياء والبلدات، حتى إنهم أفرغوا أحياء حمص من سكانها السُّنَّة قسراً، وحرقوا سجلات الملكية فيها، ومنعوا سكّانها من العودة إليها بعد اتفاقية خروج الثوار منها عام ٢٠١٤م، وأفرغوا منطقة القصير وما حولها من سكّانها قسراً، وأحلّوا مكانهم عائلات شيعية لبنانية وعراقية، كما شهدت أحياء العاصمة وريفها عدة هُدَن واتفاقات، كان أبرزها تهجير سكان داريا ومعظمية الشام برعايةٍ أمميةٍ، واتفاق إيران مع جيش الفتح على مبادلة سكان الزبداني ومضايا وسرغايا في ريف دمشق بسكان الفوعة وكفريا الشيعيتين في إدلب.

اعتمد النظام السوري وحلفاؤه إستراتيجيتين مهمّتين في تنفيذ خطّتهم الإستراتيجية للتغير الديموغرافي في سوريا، هما: إستراتيجية الحصار، وإستراتيجية عقد الهُدَن. تتمثّل إستراتيجية الحصار في رفع النظام عبارة (الجوع أو الركوع) في مداخل المناطق المُحاصَرة، ثم إغلاق جميع منافذ الأحياء والمناطق التي يُخطّط النظام لحصارها إلا واحداً منها يُسمح للسكان بالمغادرة منه، وللموظفين غير المطلوبين بالخروج والعودة منه، ثم يقوم النظام وحلفاؤه بمنع دخول المواد الغذائية والطبية وحليب الأطفال، وقصف المناطق المُحاصَرة عشوائياً بقذائف الهاون والبراميل المتفجرة، وقطع الكهرباء والمياه، وبثّ الشائعات بقرب اقتحام النظام المنطقة المُحاصَرة في محاولة لبثّ الخوف والرعب في نفوس السكان المدنيين، ودفعهم إلى النزوح، وترك منازلهم، ثم يُغلق النظام وحلفاؤه في مرحلةٍ لاحقةٍ جميع المنافذ، ويُصعّد القصف الوحشي على المناطق المُحاصَرة بكلّ الأسلحة؛ تمهيداً لإبرام اتفاقية الاستسلام والخروج، كما حدث مع سكان مدينة داريا وغيرها. وتتمثّل إستراتيجية عقد الهُدَن في إبرام النظام السوري الاتفاقات والهُدَن المنفردة مع سكان المناطق المُحاصَرة في محافظات حمص ودمشق وريف دمشق على مستوى الأحياء والمناطق، مثل: حي بابا عمرو والإنشاءات في حمص، ومناطق وأحياء برزة والقابون وتشرين وبيت سحم ويلدا وببيلا والقدم والعسالي والحجر الأسود والزبداني ومضايا، وهو ما يشير إلى حرص النظام وحلفائه على إفراغ محافظات حمص ودمشق وريف دمشق من السكان الأصليين. وتؤدي إستراتيجية عقد الهُدَن إلى إتاحة الفرصة لخروج السكان المدنيين وهروبهم من جحيم القصف العشوائي، وخروج بعض المقاتلين الثوار أو جميعهم وترك الأعمال القتالية، وتفرّغ قوات النظام في هذه المناطق وتوجّهها إلى القتال في مناطق أخرى[١٥].

---

(١٥) ''التهجير القسري والتغيير الديموغرافي في سوريا تحت غطاء الأمم المتحدة''، **الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية**، (لندن: مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، ٢٠١٦م)، http://cutt.us/9jExg.

ونتج من الخطّة الإستراتيجية للتغيير الديموغرافي في سوريا، التي نفّذها النظام السوري وحلفاؤه، عدد من النتائج، أهمها:

- انخفاض كبير بمقدار النصف تقريباً في عدد السكّان السُّنَّة في محافظات (سوريا المفيدة) من ستة ملايين و٨٠٢ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى ثلاثة ملايين و٩٥٠ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وذلك بمقدار ١٧٪ من إجمالي عدد سكان المحافظة، وكانت كبرى المحافظات تعرّضاً لهذا الانخفاض هي: حمص (٤٣٪)، وريف دمشق (٣٣٪)، ودمشق واللاذقية (٩٪).
- ارتفاع كبير يصل إلى أكثر من عشرة أضعاف في عدد السكان الشيعة في محافظات (سوريا المفيدة) من ٩٢ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليون و١٦ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، وذلك بمقدار ١٢٪ من إجمالي عدد سكان المحافظة، وكانت كبرى المحافظات ارتفاعاً هي: حمص (٢٦٪)، وريف دمشق (٢٣٪)، ودمشق (١١٪).
- انخفاض بسيط في عدد السكان العلويين في محافظات (سوريا المفيدة) من مليونين و٥٥ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١١م إلى مليون و٨٤٣ ألف نسمة في نهاية عام ٢٠١٦م، لكنه انخفاض خادع؛ لأن نسبة السكّان العلويين من إجمالي عدد السكان ارتفعت واقعياً من ٢١٪ إلى ٢٤٪ نتيجة الانخفاض الكبير في عدد السكّان السُّنَّة، وكانت كبرى المحافظات التي شهدت ارتفاعاً في أعداد العلويين هي: حمص (١٢٪)، واللاذقية (٥٪).

وتتمثّل أهم التوصيات التي خرج بها الباحث بناءً على النتائج السابقة في:

- على الرغم من حرص الباحث على عدم المبالغة في تقدير حجم النزوح واللجوء في سوريا إلا أن الدراسة عكست بوضوحٍ حجم التغيير الديموغرافي في سوريا، ونجاح النظام السوري وحلفائه في تنفيذ هذه الخطة؛ لذلك يرى الباحث ضرورة تكوين فِرَق عمل بحثية، وتوفير الإمكانات اللازمة لها، لإجراء الدراسات الميدانية، والحصول على المعلومات الدقيقة؛ حتى يمكن مواجهة خطة التغيير الديموغرافي في سوريا.
- لا تتوافر إحصاءات رسمية دقيقة عن التعداد السكاني في سوريا منذ عام ٢٠١١م؛ لذلك يجب العمل على توثيق بعض المؤشرات السكانية المتاحة بعد هذا التاريخ.
- ينبغي اتّخاذ جميع الإجراءات المادية والقانونية الممكنة للعمل على إيقاف القتل والتهجير والتجويع المنتشر في سوريا.
- ضرورة العمل على إثارة قضية التغيير الديموغرافي في سوريا في المحافل الدولية، وإقامة دعوى قضائية ضد النظام وحلفائه؛ لأن التغيير الديموغرافي قسرياً يُصنَّف في القانون الدولي على أنه جريمة حرب.
- سوريا بلد عربي مسلم، وعضو مؤسّس في جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي؛ لذلك ينبغي للجامعة والمنظمة والدول العربية والإسلامية ومؤسّساتها الحقوقية التصدي للإستراتيجية الإيرانية في التغيير الديموغرافي للشعب السوري في المحافل والمحاكم الدولية.
- العمل على وقف مختلف أنواع السطو على العقارات والأملاك السورية الخاصة والعامة، التي تسعى إلى إحداث نوعٍ من التغيير الديموغرافي في سوريا.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، والعمل بوابةً وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدّم المركز تحليلات متعمّقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية، ودراسات شمال إفريقيا والمغرب العربي، والدراسات الإيرانية والآسيوية، ودراسات الطاقة، ودراسات اللغة العربية والحداثة. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.



P.O.Box 51049 Riyadh 11543 **Kingdom of Saudi Arabia**
Tel: (+966 11) 4652255 Ext: 6892 Fax: (+966 11) 4162281
E-mail: research@kfcris.com